الحاجة إلى الترجمة

لعبت الترجمة – وما تزال – تلعب دورا كبيرا كأحد أهم قنوات التواصل والمعرفة بين الأمم على امتداد العصور. ولا غرو أن تجيء الدعوة لمفكرى الأمة العربية بمزيد من التأليف والترجمة كمطلب أساسى للنهوض والتنمية.

لقد قاد العالم العربى والإسلامى حركة الترجمة، إذ لعبت الترجمة دورا هاما فى إرساء القاعدة للحضارة العربية الإسلامية فى القرون الوسطى منذ أن قام العرب بترجمة ونقل الفكر الإغريقى واللاتينى والفارسى والهندى وغيره إلى العربية. وكان رواد هذه الحركة قد تدربوا على الترجمة فى هذا النطاق، ولا يغيب عن الأذهان الدور الذى لعبه المترجمون العرب أمثال ابن المقفع وغيره فى هذا المضمار.

لقد قامت حركة الترجمة على أكتاف أولئك الذين آمنوا برسالة الترجمة فى إرساء قواعد لهذا الفرع من المعرفة، إذ لم تكن الترجمة مجرد نقل للعلوم والمعارف بل كانت استيعابا لروائع الأمم الأخرى ومراجعة وبيانا لما فيها من دروس وعبر.

إذن فالدعوة إلى الترجمة ليست مجرد دعوة إلى النقل والتبعية، بل هى أداة للتواصل الحضارى للاستفادة والاطلاع على ما لدى الآخر أولا ثم البناء على ما تم إنجازه لدى الأمم الأخرى. وبعد ذلك فهى وسيلة لفهم ما يدور فى العالم من ثقافات وأفكار للتفاعل الإيجابى مع معطيات هذه الثقافات المختلفة أملا فى التأثير والمشاركة الفاعلة فى ظل الأوضاع العالمية التى تحتم علينا فهم الآخر عن طريق ما ينتجه فى شتى مجالات المعرفة وليس فقط فى المجال الاستهلاكى لمنتجاته المادية.

إننا أصبحنا وبصورة واضحة على اتصال بالأمم حولنا ولكن يظل هذا الاتصال أحادى الجانب مقتصرا على استهلاك ما تنتجه هذه الأمم من حضارة مادية بينما بقيت ثقافتها فى غياهب النسيان والمجهول. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن ما نعرفه عن دولة مثل اليابان لا يتعدى منتجاتها الصناعية، إذ لا يكاد يخلو منزل من جهاز راديو أو تليفزيون أو غيره مما يملأ كل ركن وزاوية من حياتنا، لكن يظل الكثير مما نجهله عن ثقافة هذا البلد وإنتاجه المعرفى والثقافى الذى لن يوصلنا إليه إلا الترجمة.

والسؤال الجدير بالطرح فى هذه اللحظة التاريخية فى حياة ومسيرة الأمة العربية هو: ماذا نترجم؟ وماذا أعددنا من جهود فردية وجماعية للسير بحركة الترجمة فى الاتجاه الصحيح؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال أود الإشارة إلى أن عصر النهضة العربية الحديثة قد قام على إسهامات الترجمة بشكلها المباشر، وذلك من خلال نقل المؤلفات، أو شكلها غير المباشر وذلك من خلال نقل الأفكار التى مثلت تكوينا ثانيا للعقل العربى بكونها فعلا إبداعيا وضرورة حضارية.

فقد ترجم العرب فى القرن الماضى روائع الأدب العالمى الكلاسيكى وأمهات الكتب الفكرية والفلسفية من الآداب الفرنسية واليونانية والإنجليزية والروسية؛ مما أدى إلى تطور أجناس أدبية جديدة، وإلى تعديلات وتطويرات لأجناس أدبية غير موجودة من قبل، وكل ذلك أدى إلى انفتاح العرب على العالم وتفاعل الفكر العربى مع الفكر العالمى.

وعلى ذلك فإن الأمة العربية مطالبة الآن أكثر من أى وقت مضى لأن تأخذ هذا الدور الفاعل فى الحضارة الإنسانية وأن تبدأ مشروعا للترجمة تتضافر فيه جهود الأفراد والمؤسسات لنجاح مثل هذا المشروع.